على الشاطئ الجبيب

«مهداة إلى الصديق الدكتور أحمد موسى»

الأستاذ محمود الخفيف

على شاطئ النيل (تصوير الدكتور أحمد موسى)

كَمْ تَوَقَّفْتُ عِنْدَ شَطِّكَ حِينا
فَمَلأْتَ الفُؤَادَ شِعْرًا وَسِحْرًا
تَتَمَلَّى العُيونُ مِنْكَ جَبِيناً
من جبين الصباح أَسْطَعُ فَجْرًا
أَنتَ أَشْهَى طَلاَقَةً وَبُكُوراً
وانهلالاً وأنتَ أَجْمَلُ بِشرا

* * *

إنّ هذا السكونَ يَغْمُرُ نَفْسِي
من لِقَلْبِي بِرُقْيَةٍ من سُكُونِكْ
مَنْ لروحي بِحُسْوَةِ المُتَحَسَّى
من صَفَاءٍ تذيعُهُ فى فُتُونِكْ
ما لهذا الصَّفَاءِ يُغْرِقُ حِسِّي
ما أراه إلا أَرَقَّ لُحُونِكْ !

* * *

يَا شِرَاعًا لا تَنْثَنِي عَنْهُ عَيْنِي
كيف يَسْهُو عن سِحْرِهِ مَنْ يَرَاهْ؟
نَامَتِ الفُلْكُ فى سَلاَمٍ وَأَمْنٍ
وسَبَى النِّيلَ حُسْنُهَا وَازْدَهَاهْ
فَجَلاَهَا لِلْعَيْنِ فِي صُورَتَيْنِ
يا لَحُسْنٍ تَهَزُّنِي صُورَتَاهْ !
رَاعَنِي ظِلُّهُ وَيَارُبَّ لَحْنٍ
عَبْقَرِيٍّ يَرِقُّ عَنْهُ صَدَاهْ !
دَقَّ فى حُسْنِهِ فَقَصَّرَ فَنِّي
وَبَيَانِي وَفَاتَ جُهْدِي مَدَاهْ

* * *

مَنْظَرٌ تَرْكَنُ النفوسُ إِلَيْهِ
يَغْرَقُ الفَمُّ فِي سَنَى رَيْعَانِهْ
يَهْتِفُ القَلْبُ بِالجَمَالِ لَدَيْهِ
وَيَفِيضُ الشَّجِيُّ مِنْ تَحْنَانِهْ
لَمَحَاتُ الجَمَالِ فِي إِبَّانِهْ
تَسْكُرُ الرُّوحُ إِذْ تَرِفُّ عَلَيْهِ
فَتَوَلَّى ، فَرَاقَ فِي نَاظِرَيْهِ
بِالسِّلاَفِ الشَّهِيِّ مِنْ لَمَعَانِهْ
مَا جَلاَهُ الخَيَالُ بَعْدَ أَوَانِهْ !
يَا لَعَانٍ تَنَازَعَتْ أَصْفَرَيْهِ
كُلُّ حُسْنٍ يَرِفُّ فِي مُقْلَتَيْهِ
فَهْوَ مَا عَاشَ فِي قَرَارِ جَنَانِهْ
هَكَذَا وَشْيُهُ وَسِحْرُ يديه
خَلَجَاتُ الجَمَالِ من وجْدَانه

* * *

قِفْ عَلَى الشَّطِّ سَاعَةً وَتَأَمَّلْ
منظرَ النيلِ فِي سكونِ المَسَاء
اجْتَلِ الحُسْنَ مِلْءَ عينيك وامْهَلْ
من صَفَاءٍ يُنسِيكَ كُلَّ صَفَاء

* * *

إيه يا نيلُ كَمْ يطوف بِقَلْبِي
عِنْدَ مرآكَ من بَهِيِّ المَعَانِي
إن كِبا الشِّعْرُ دونَهُنَّ فَحَسْبِي
أن أَرانِي مُسَبِّحًا من بَيَانِي

* * *

إيه يا نيلُ كَمْ بَنَيْتَ حَيَاةً
وَصَحِبْتَ الزَّمَانَ فِي خَطَرَاتِكْ
قَدْ نَبَتْنَا على ثَرَاكَ نباتا
وطَعِمْنَا الجَنِيَّ مِنْ ثَمَرَاتِكْ
لا تَرِي الأَرْضُ ما حَمَلْتَ مواتا
إذ تسير الحياةُ فى خُطُرَاتِكْ
أَنْتَ أَجْرَيْتَهُ شَهِيًّا فُرَاتا
كُلُّ حَيٍّ أَنْقَاسُهُ مِنْ فُرَاتِكْ !
يا أَخا الدَّهْرِ كَمْ وَلَدْتَ بُنَاةً
مَنْ عَلَى الأَرْضِ سَابِقٌ لِبِنَاتِكْ؟
إن تكن قَدْ عَدِمْتَ حيناً رواةً
إن هذا التراب خَيْرُ رُوَاتِكْ
بِشْرُ واديك يقظةً وَسُبَاتاً
أى شَيْءٍ أحلى لَهُ من سباتك ؟

الخفيف